المحاضرة: المدرسة والمجتمع

تمهيد:

تحظى المدرسة بمكانة هامة ضمن المؤسسات التربوية وعملية التنشئة الاجتماعية فيها امتداد لما تلقاه الفرد في أسرته، إن المدرسة موكلة بتحقيق الأهداف الاجتماعية للتربية فقد أنشأها المجتمع لأجل تحقيق غاياته، والمدرسة تتجاوز مهمة التعليم إلى التربية الشيء الذي يتم بقصدية وانتقائية من خلال ما تقدمه من مناهج يقوم المختصون ببنائها لإعداد الفرد الصالح وفقا لما يرتضيه المجتمع، سنتطرق من خلال هذه المحاضرة إلى تعريف المدرسة ،أهميتها، خصائصها، وظائفها، الدور التربوي للمدرسة، المجتمع والمدرسة وبعض المشكلات المدرسية المعاصرة.

أولا: المدرسة ووظائفها

1- **تعريف المدرسة:** تتباين تعريفات المدرسة من حيث التركيز على بنائها وعلى وظائفها.

"إن المدرسة مؤسسة أسسها المجتمع، لتربية أبنائه تربية مقصودة، ومخطط لها، تنقل بواسطتها الثقافة الخاصة بالجماعة المحيطة، وبطرق تقبلها وترتضيها، إلى الأجيال الجديدة، لتحافظ بذلك على تراثها." (ناصر، 2011، صفحة 104)

تعريف "فرديناد بويسيون" "Ferdinand Buisson": "مؤسسة اجتماعية ضرورية تهدف على ضمان عملية التواصل بين العائلة والدولة من أجل إعداد الأجيال الجديدة، ودمجها في إطار الحياة الاجتماعية". (وطفة، الشهاب، 2003، صفحة 16)

تعريف "إميل دوركايم": "تعبير امتيازي للمجتمع الذي يوليها بأن تنقل إلى الأطفال قيما ثقافية وأخلاقية واجتماعية يعتبرها ضرورية لتشكيل الراشد وإدماجه في بيئته ووسطه" (زعيمي، ب ت، صفحة 139).

تعريف "عصمت مطاوع":ى" هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي أنشأها المجتمع عن قصد ووظيفتها الأساسية تنشئة الأجيال الجديدة بما يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع الذي تعهدهم." (زعيمي، ب ت، صفحة 139)

تعريف "شيبمان" Shipman"المدرسة شبكة من المراكز والأدوار التي يقوم بها المعلمون والتلاميذ، حيث يتم اكتساب المعايير التي تحدد لهم أدوارهم المستقبلية في الحياة الاجتماعية." (وطفة، الشهاب، 2003، صفحة 17)

-2- خصائص المدرسة:

تنفرد المدرسة عن غيرها من المؤسسات التربوية بأنها بيئة اجتماعية مبسطة وموسعة وصاهرة ومصفية الشيء الذي زاد من أهميتها، ويمكن شرح ذلك فيما يلي: (ناصر، 2011، صفحة 111)

– أنها بيئة تربوية مبسطة ليستطيع المتعلم الفهم والتحصيل.

– موسعة: أي تعمل على توسيع أفق المتعلمين ومداركهم حول الماضي وربطه بالحاضر، وتختصر لهم الزمان وتهيئ لهم المكان والبيئة المناسبة.

– صاهرة من حيث إذابتها للفوارق بين المتعلمين وموحدة لميولات الفئات المختلفة والتقريب بين الطبقات بمساواة التلاميذ جميعا في المؤسسة ومعاملتهم بالتساوي.

– أنها بيئة تربوية مصفية: فهي تعمل على تنقية التراث وتصفيته من كل ما علق به من شوائب وفساد.

3- وظائف المدرسة:

تعد المدرسة مؤسسة رسمية أوجدها المجتمع لتحقيق أهدافه وغاياته، ونظرا لأن المدرسة مرت بمراحل مختلفة إلى أن وصلت إلى الصورة الحالية، كان ذلك بالموازاة مع التطور على صعيد وظائفها، وقد كانت هذه الأخيرة محل دراسة من قبل الباحثين. فقد حدد "جون ديوي" "John Dewey" وظائف المدرسة فيما يلي: (شتا و الجولاني، 2003، صفحة 182)

– تبسيط التراث الثقافي وخبرات أجيال الكبار وتقديمها للصغار بما يتفق وقدراتهم وأعمارهم، بحيث يتدرجون في استيعاب التراث من البسيط إلى المركب ومن المحسوس إلى المجرد.

– تطهير التراث الثقافي والخبرات أجيال من كل ما يؤثر سلبيا على نمو شخصية الطفل وقدراته ومن ثم يكون على المدرسة مهمة تعليم الأبناء أنماط السلوك المقبول وإكسابهم الاتجاهات بما يتوافق وثقافة

مجتمعهم، في إطار مناخ اجتماعي مناسب، أيضا غرس ثقافة المجتمع في نفوس الأطفال ومساعدتهم على التهيؤ للحياة العامة والأدوار المختلفة التي يشغلونها في محيطهم الكبير.

أما "ميسجراف" فيرى أن للمدارس العامة خمسة وظائف هي: (شتا و الجولاني، 2003، صفحة 180)

- وظيفة النقل الثقافي، أي نقل ثقافة المجتمع بعد تنقيتها.
- تقديم المبتكرين الذين يحتاجهم التغير الاجتماعي لتمكين المجتمع المعاصر من البقاء.
- تقديم القادة السياسيين وتأكيد الولاء للنسق السياسي.
- الاختيار الاجتماعي من خلال توزيع الأفراد على المهن المختلفة.
- تزويد البناء الاقتصادي بالقوى المتعلمة المطلوبة.

وقد قدم "ريمير" وظائف المدرسة في سياق نقدي لما قدمه "ميسجراف" سنتجاوزه في هذه المحاضرة إلى التكامل بين ما حدده " مسيجراف وريمير" "Musgrave & Rimir " من وظائف لأنها تشمل الاثنين معا ويمكن ذكرها فيما يلي: (شتا و الجولاني، 2003، صفحة 181)

- نقل التراث الثقافي بين الأجيال بعد تنقيته.

- تزويد المجتمع بالمبتكرين الذين يحتاجهم التغيير الاجتماعي لكي يتمكن المجتمع من الحفاظ على استمرار وجوده.

- بناء شخصية الفرد ودعم ولائه للمجتمع.

- الاختيار للأدوار الاجتماعية وتوزيع الفئة القادرة على العمل بين المهن الوظائف.

- توفير القوى العاملة المطلوبة للقطاع الاقتصادي كما وكيفا بما يناسب الأحوال التكنولوجية السائدة.

- التربية المستهدفة وتنمية الخبرات والمهارات والاتجاهات والميول لدى الأفراد.

- توفير صور الرعاية الاجتماعية و النفسية للتلميذ.

وقد كان لـ "كارل مانهايم "نظرة خاصة إلى المدرسة التقليدية والمدرسة المعاصرة، فبالنسبة للمدرسة التقليدية فقد حدد أدوارها في القيام بمهام التدريب للتكيف مع المجتمع المنظم القائم، أما أدوار المدرسة الحديثة فيجب أن تكون مدخلا للتفاعل الدينامي، وأن المدرسة التقليدية إذا ما واجهت المجتمع

المعاصر فسيحدث شيء من سوء التكامل للمجتمع، ذلك أن المعرفة الجديدة يجب أن تدرج ضمن المناهج الدراسية. لأن المدرسة تسهم بفعالية في تحقيق التكامل الاجتماعي والثقافي والمعياري والوظيفي والشخصي من خلال الوظائف التي تقوم بها، حيث تحقق التكامل الثقافي بتنمية وإدراج المعارف الجديدة ضمن المناهج الدراسية، ودعم النسق القيمي للمجتمع لدى أفراده وإكسابهم القيم المستحدثة التي لا تتعارض مع قيم المجتمع كما تناسب الأوضاع التكنولوجية والمستجدات العلمية، وتحقق التكامل الاجتماعي بتنمية أهداف المجتمع لدى الأفراد، ورفع انتمائهم للنظام الاجتماعي القائم وتحقيق الاتفاق العام بين الصفوة السياسية للمجتمع وأعضائه، أما التكامل المعياري فمن خلال تقرير الوسائل التي تجيزها ثقافة المجتمع ونظمه لتحقيق الأهداف. وبالنسبة للتكامل الوظيفي فذلك بتلبية المتطلبات المهنية وتوفير المهارات الفنية. (شتا و الجولاني، 2003، الصفحات 226-227).

مما سبق يمكن تناول وظائف المدرسة بشيء من التفصيل فيما يلي:

3-1- الوظيفة التعليمية: تحتل الوظيفة التعليمية المركز الأول في اهتمامات المربين والقائمين على المدرسة وتدور هذه الوظيفة أساسا على: (زعيمي، ب ت، صفحة 143)

- إكساب المتعلمين الأسلوب العلمي في التفكير والبحث والدراسة (المنهج العلمي).
- تزويد المتعلمين بالمعارف الصحيحة أو العلمية.
- تعليم التلاميذ القراءة والكتابة والتعبير والحساب وتتيح لهم فرصة تعلم ذلك كله.

3-2- **الوظيفة الاجتماعية:** تعتبر الوظيفة الاجتماعية أساس استحداث المجتمع لهذه المؤسسة التي تعمل على تعريف المتعلم بمجتمعه تعريفا واضحا يشمل تكوينه ونظمه وقوانينه والمشاكل والعوامل التي تؤثر فيه، لأنها تسهر تدريبه على الحياة الاجتماعية من خلال الممارسة والمواجهة لجميع المشاكل التي تحيط به، ولن يكون ذلك إلا بأن نجعل المدرسة مجتمع حقيقيا له شكله ونظامه ودستوره يشترك فيه كل متعلم، فالمدرسة بهذا المعنى هي الأداة الرسمية للتنشئة الاجتماعية. (زعيمي، ب ت، صفحة 145)

3-3- **الوظيفة النفسية:**

تعمل المدرسة على تحقيق الإشباع النفسي للمتعلم, من خلال ما يلي: (شروخ، 1425هـ-2004م، صفحة 78)

– تكوين الصفات الشخصية الصالحة, وغرس الاتجاهات النفسية السليمة في المتعلم.

– تكوين العواطف والاتجاهات السليمة لدى الأطفال, وتوجيه انفعالاتهم, وتقوية ثقتهم بأنفسهم, ودعم شعورهم بالمسؤولية والمساواة, والتدريب على حرية إبداء الرأي واحترام رأي الآخرين.

– خلق جو مدرسي منظم يتيح للمتعلم فرص التعبير الحر عن مشاعره بواسطة الرسم والأشغال اليدوية, والموسيقى...الخ.

– الكشف عن استعدادات المتعلمين, وقدراتهم ومواهبهم وتنميتها.

3-4- الوظيفة الاقتصادية:

وهي وظيفة تؤديها المدرسة للفرد والمجتمع, فبالنسبة للفرد تقوم بتغطية المصاريف العملية التربوية ومساعدة المتعلمين ذوي الظروف الاقتصادية الصعبة (زعيمي، ب ت، صفحة 144) وبالنسبة للمجتمع فتسهم في زيادة الدخل القومي وتحقيق النمو الاقتصادي الشيء الذي أشارت إليه دراسات عديدة أن النمو الاقتصادي له علاقة بتطور التعليم. وينظر أصحاب النزعة الاقتصادية إلى المدرسة من جوانبها الاقتصادية على أنها مؤسسة إنتاجية للفنيين والخبراء والعلماء والأيدي العاملة في أسواق العمل. (وطفة، الشهاب، 2003، الصفحات 36-37)

3-5- الوظيفة الدينية:

تكمل المدرسة ما بدأته الأسرة وتعمل على تكوين الاتجاهات الدينية السليمة وتعميق الإيمان بالله وتقوية الوازع الديني القائم على الفهم الصحيح لتعاليم الدين, ودعم الجانب الخير في المتعلم, وتعويده على مكارم الأخلاق، والفضائل والقيم كالصدق والأمانة والتعاون، وتعويده على احترام أصحاب الأديان الأخرى, احتراما قائما على الفهم والمحبة والإنسانية، وتعليمه المبادئ والعبادات وإبعاده عن البدع التي قد تشوب صفاء الدين (شروخ، 1425هـ-2004م، صفحة 78).

ثانيا: المدرسة والمجتمع:

إن قوة المجتمع واستمراره لا تعتمد فقط على القراءة والكتابة وتعلم الفنون والإعداد للحياة، إنما تعتمد على الاتجاهات والقيم التي تغرسها في الناشئة لخدمة الوطن والمجتمع، والانتماء إليهما والتضحية

في سبيلهما واحترام العادات والتقاليد والنظم والتعليمات التي يرتضيها المجتمع واحترام أخلاقيات الجماعة. فالمدرسة مطالبة بأن تعمل على التكيف الاجتماعي والثقافي للنشء ليصبح هؤلاء أفراد عاملين ناجحين ومشاركين في نهضة مجتمعهم وهي مطالبة كذلك بتوسيع دائرة معارفهم وثقافتهم للتمكن من أداء أدوارهم في الحياة العامة. (ناصر، 2011، صفحة 112)

تمثل غرفة الصف الخلية الأولى للمجتمع الكبير، فيسود فيها التفاعل وتجسد بذلك نموذجا للعلاقات الاجتماعية التي خرج فيها المتعلم منطلقا إلى فضاء أوسع من الأسرة، والمدرسة بشكل عام جزء من المجتمع الكبير فالتدرج من الأصغر إلى الأكبر غرفة الصف، المدرسة، المجتمع المحيط.

إن غرفة الصف لها ميزاتها فهي تجمع الأقران ما يشكل وحدة متجانسة وهي تشكل مجالا للتنشئة الاجتماعية من خلال تفاعل المتعلمين مع بعضهم البعض وتعاملهم مع الأستاذ وخارج الصف مع الإدارة والرفاق.

فالمدرسة لم تعد مكانا للتعليم فقط حيث لم تعد تكتفي بنقل المعلومات إلى الأفراد وحشو عقولهم بالمعارف بقدر ما تهتم بتربية الفرد من جميع مكوناته (العقل والجسم والنفس والروح) وهكذا تحاول المدرسة أن تكون بيئة تربوية ينشأ فيها الفرد متزن الشخصية، مضبوط العواطف عارفا ما عليه وما له من حقوق وواجبات قادرا على خدمة نفسه ومجتمعه. (زعيمي، ب ت، الصفحات 141-142)

إن المدرسة مؤسسة رسمية ذات كيان مستقل وأهداف ومسؤوليات محددة تهدف إلى إعداد تلاميذ المجتمع للحياة الاجتماعية والإسهام في الفعال في التقدم، والمجتمع له دور لما يقمه من مواقف تربوية غنية للتلاميذ يمكن للمدرسة الاستفادة منها والمدرسة لا تقتصر على ما يقدمه المجتمع فقط بل تساهم أيضا مساهمة فعالة. مما لا يفسح مجالا لفصل المدرسة عن المجتمع لكونه يتكون من تلاميذها وعادات وتقاليد مشتركة. فينتقل التلاميذ من المجتمع إلى المدرسة لتهيئهم حتى يصبحوا أعضاء صالحين فيه . (زعيمي، ب ت، الصفحات 154-155)

كما أن "المجتمع يمكن له إصلاح ما فيه من عيوب عن طريق التربية، ولهذا فإن استقرار المجتمع يعتمد على المدرسة لأنها تخرج له أفرادا صالحين، فهي تحسن مناهج التعليم وطرقه حتى تساير حاجات المجتمع ونموه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وهي تعمل على رفع مستوى المجتمع بتهذيب

تلاميذها وتوصيل رسالتها التربوية، ومن ثم فإن إصلاح المجتمع يتوقف على إصلاح المدرسة التي يحدد فيها مستقبل كل تلميذ." (زعيمي، ب ت، صفحة 155)

"والمدرسة توجه المجتمع في نموه نحو الكمال حتى يسير التفاعل بصورة حسنة، ولكي يستمر في هذه الصورة ينبغي ألا يقتصر على إدخال مظاهر الحياة الاجتماعية في المدرسة فقط وإنما يجعلها مركزا اجتماعيا في محيطها الفكري، وتناقش فيها المسائل العامة، ويشترك التلاميذ من خلالها حتى يتعودوا بذلك الخوض في حياة اجتماعية لا تختلف عن حياة المجتمع الخارجي." (زعيمي، ب ت، صفحة 156)

ثالثا: المدرسة والتغير الاجتماعي:

تتغير المجتمعات وتتطور ويصيبها التجديد في شتى النواحي، والمدرسة جزء لا يتجزأ من النظام الاجتماعي السائد، وعلى هذا فهي تتأثر ولا شك بما يسود المجتمع من تغيرات اجتماعية، كما تستطيع المدرسة أن تبشر بالتغير الاجتماعي وتعمل على توجيه الأنظار إليه وإعداد العقول له وهي بذلك تعد الأفراد لكي يقوموا بدورهم في إحداث التغير إذ أنهم يخرجون من المدرسة وقد اكتسبوا اتجاهات عقلية معينة يواجهون بها مجتمعهم، فيعملون على القيام بمسؤولياتهم في تغييره وعلى هذا تستطيع المدرسة أن تساهم في بناء مجتمع جديد. (استيتية، 2004، صفحة 205)

"ويجب أن تكون المدرسة مثالا للمجتمع لا صورة له كما هو في الواقع بعيوبه ونقائصه وسلبياته، بل كما يجب أن يكون حتى تساهم في رقيه والنهوض به." (زعيمي، ب ت، صفحة 156)

رابعا: مشكلات مدرسية معاصرة:

المشكلات المدرسية كثيرة ومتنوعة تعليمية، نفسية، سلوكية وغيرها، في هذا العنصر سنأخذ باختصار:

1-التأخر: "يعرف التأخر الدراسي عامة على أنه انحراف التلميذ أو درجاته عن المتوسط بالنسبة لأقرانه في سنة بمعنى حصول التلميذ على أقل من النصف النهائية الكبرى للمادة بمعنى لو كانت المادة العلمية مقرر له 100 درجة فيكون التلميذ المتأخر دراسيا هو الذي حصل على أقل من 50 درجة من 100." (الخطيب، 2009، صفحة 24)

1-1أنواع التأخر الدراسي: هناك عدة أنواع للتأخر في المدرسة وهي: (الخطيب، 2009، صفحة 24)

التأخر الدراسي العام:ويكون في كل المواد الدراسية.

التأخر الدراسي الخاص: يكون في مادة واحدة نتيجة لسبب معين.

التأخر الدراسي النوعي:هو التأخر الذي يعتري التلميذ أثناء العام الدراسي سواء في الشهر أو فترات الدراسة وحينما تبذل معه جهود يحقق النجاح وعادة ما يكون راسب في مادة أو أكثر لضعف المهارات التراكمية في المنهج أو المقرر الدراسي الذي يرسب فيه.

التأخر الدراسي الحقيقي: يعود إلى النقص في القدرات العقلية.

2-مشكلة الغياب: حالة من عدم انتظام التلميذ في المدرسة كالتأخر عن الحصة الأولى أو النصف اليوم الدراسي أو اليوم كله أو الهروب من المدرسة بحيث يتكرر هذا السلوك بصورة مباشرة نسبيا 3 مرات متصلة أو 5 أيام منفصلة. (الخطيب، 2009، صفحة 30)

3-السلوك العدواني: له مظاهر متعددة منها: التهريج في الفصل، تخريب الأثاث المدرسي، التمرد والبذاءة والوقاحة،الميل إلى التهور وعدم الأخذ بنصائح المعلمين، وعدم الاهتمام بلوائح ونظم المدرسة، وقد يظهر في صورة الاعتداء على الزملاء والأساتذة ومعاملتهم بأسلوب غير مهذب سواء في فترات الدروس أو في فترات النشاط الترويحي. (غباري، 2008، صفحة 145)

4-الغش: يعتبر الغش من المشكلات الشائعة في المدارس بجميع مستوياتها وخاصة في الامتحانات حيث يلجأ التلاميذ إلى أساليب متعددة يتفننون فيها كي لا يراهم الأساتذة المكلفون بالحراسة.

والغش انعكاس لمشكلات يعانيها التلميذ الذي ساء توافقه المدرسي والأسري نتيجة انعدام الرعاية الأسرية وانشغال الوالدين عنه وما يترتب عليه من إهمال وعدم اهتمام وغياب السلطة الأسرية الضابطة واختفاء سلوكياته الايجابية التي إن وجدت يشعر التلميذ بجانبها بالحب والرعاية والأمن والطمأنينة التي تحميه من مثل هذه المشكلات الخلقية. (غباري، 2008، صفحة 151)

ويمثل الغش ملاذا سهلا لغير المجتهدين وطريقا مختصرا للنجاح غير المستحق وبالرغم من العقوبات المسطرة للغش التي قد تعرض ممارسه للإقصاء أو غيره إلا أنها لا تزال موجودة.

خامسا: علاقة المدرسة بمؤسسات التنشئة الاجتماعية:

تقدم المدرسة جميع المكتسبات التقنية والأخلاقية مما يجعلها تمتاز بقدرات خاصة وبيئة متكاملة تحافظ على التراث الفكري والثقافي بأسلوب علمي مثمر في وسط علمي تجريبي مميز، وهي من عوامل التنشئة المقصودة الأساسية ذات الأداة التي تعمل على مواصلة السير مع الأسرة في تنشئة الطفل، وهي بذلك تحتل أهمية كبرى من الناحية التربوية لأنها قادرة على التأثير بشكل إيجابي على شخصية المتعلم، فهي من هذه الناحية تستطيع أن تدعم كثيرا من المعتقدات والاتجاهات والقيم الحميدة التي تم تكوينها في الأسرة، كما يمكنها أن تمحي بعض آثار العادات والقيم غير السليمة التي اكتسبها فيها ويمكن أن تغرس فيه طرق التفاعل الإيجابي مع الغير وتكوين علاقات سوية معهم. فهي تنسق "الجهود التربوية المختلفة في الوسائط التربوية الأخرى وتصححها." (زعيمي، ب ت، صفحة 138،148)

تقوم بين المدرسة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى علاقات عميقة وجوهرية من حيث اشتراكهم جميعا في تنشئة الفرد وإعداده الحياة من جهة ومن جهة أخرى فهي تشترك معها في إحداث التغير الاجتماعي، لذلك فالعلاقة تكاملية بين المدرسة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية سواء الأسرة أو المسجد أو وسائل الإعلام أو الكشافة الإسلامية وغيرها.